تعريف الحجّ
أُولى غاياته تحقيق الوحدة بين المسلمين

■ المرجع الديني الشيخ محمّد الفاضل اللنكراني قدس سره

الحجّ من العبادات المفروضة في عداد سائر العبادات من الصلاة والزكاة والصوم. وقد وصفه (صاحب الجواهر) قدّس سرّه، بأنّه أعظمُ شعائر الإسلام، وأفضل ما يتقرَّب به الأنام إلى الملك العلّام، لِما فيه من إذلال النفس، وإتعاب البدن، وهجران الأهل، والتغرّب عن الوطن، ورفض العادات، وترك اللّذات، والشهوات، والمنافرات، والمكروهات، وإنفاق المال، وشدّ الرحال، وتحمّل مشاقّ الحِلّ والارتحال، ومقاساة الأهوال، والابتلاء بمعاشرة السفلة والأنذال، فهو حينئذٍ رياضة نفسانية، وطاعة مالية، وعبادة بدنية، قولية وفِعلية، وجودية وعدَمية. وهذا الجمع من خواصّ الحجّ من العبادات التي ليس فيها أجمعُ من الصلاة، وهي لم تجتمع فيها ما اجتمع في الحجّ من فنون الطاعات.

وفي الحديث إنّه أفضلُ من الصيام والجهاد والرباط، بل من كلّ شيءٍ إلّا الصلاة، بل في الحديث إنّه أفضل من الصلاة والصيام، لأنّ المصلّي يشتغل عن أهله ساعة، وإنّ الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم، وإنّ الحاجّ ليُشخِص بدنَه، ويضحّي نفسه، وينفق ماله، ويطيل الغَيبة عن أهله، لا في مالٍ يرجوه ولا في تجارة، وقد تطابق العقل والنقل على أنّ «**أفضل الأعمال أَحمزُها**»، وأنّ «**الأجْر على قدرِ المَشقّة**».

ويدلّ على أهمية الحجّ وأفضليّته على الصلاة - مضافاً إلى اشتمال الحجّ عليها، وعدم اشتمالها عليه - أنّ الصلاة عبارةٌ عن إحرامٍ صغير يتحقّق الشروع فيه بتكبيرة الإحرام المسمّاة بها لأجله، والفراغ عنه بالتسليم، ولا ينافي ذلك ما ورد في الصلاة من أنّها «**عَمودُ الدّين، إنْ قُبِلَت قُبِلَ ما سِواها، وإنْ رُدَّت رُدَّ ما سِواها**» لعدم دلالته على الحصر، فتدبّر.

البُعد السياسي في الحجّ

وعمدةُ ما يختصّ الحجّ به ممّا لا يوجد في غيره أصلاً، هو الجهة الاجتماعية السياسية المتحقّقة فيه، فإنّه يتضمّن اجتماع المسلمين من جميع أقطار العالم، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وعاداتهم ورسومهم، واختلاف مذاهبهم. وهذا الاجتماع العظيم الذي ليس في الإسلام مثله، ممهِّدٌ لحصول الوحدة والاتحاد بين المسلمين، وتحقُّق القدرة الكاملة التي لا تعادلها أيّ قدرة في العالم، وهذا يتوقّف على الارتباط وتواصل المسلمين بعضهم مع بعض، والبحث عما هم عليه من النقائص والمشكلات، وعن طريق رفعها وحلّها. وعمدة المشاكل التي يعانون منها، هي مشكلة الحكومات التي تتظاهر بالإسلام، ولكن في الباطن ليس فيها من الإسلام عينٌ ولا أثَر، وقد استظهروا بالحكومات القوية المستعمرة المسيطرة على العالم، ويطيعونها بكلّ طاعة، بل يعبدونها كعبدٍ ذليل، ولا يتخلّفون عن أوامرهم ونواهيهم بوجهٍ أبداً. وقد صار هذا الاستعمار الوسيع سبباً للحؤول دون اجتماع المسلمين وإظهار اتّحادهم.

وفيما أكتب هذه السطور، لم تمضِ سنتان بعدُ على حادثة مكّة المكرّمة التي قُتل فيها قرب المسجد الحرام أزيَد من أربعمائة من الحجّاج من الرجال والنساء، بيد الحاكم الكافر المستولي على الحرمَين.

وكيف كان، فهذه الجهة في الحجّ جهة مهمّة لا توجد في غيره، لاقتضائها حصول القدرة الكاملة للإسلام وتحقّق الوحدة والاتحاد بين المسلمين.

* المصدر: تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة: ج ١، شرح ص ٣ - ٥